أبيدوس (Abydos)

جامعة سوهاج | العدد الثالث (٢٠٢١م)، ص ص: ١٦٩ - ١٩٤ | كلية الآثار

الطراز المعماري الإسلامي في الصين مسجد الأصحاب بمدينة تشوانتشو أنموذجًا

Islamic Architectural Style in China: Al-Ashab Mosque in Quanzhou as an example

د. حماده محمد هجرس

أستاذ العمارة الإسلامية المساعد، كلية الآثار، جامعة الفيوم، مصر

Dr. Hamada M. Hagras

Assistant Professor of Islamic Architecture, Faculty of Archeology, Fayoum University, Egypt

Email: hmh00@fayoum.edu.eg

الملخص:

خلف المسلمون خلال تاريخهم في الصين عدد غير محدود من التراث المعماري والفني، يؤكد دون شك على مدى حضورهم واسهامهم في الحضارة الصينية العظيمة عبر أسراتها وسلالاتها المتعاقبة. منذ وصول الإسلام للصين خلال عصر أسرة تانغ، بدأ في النمو تدريجيا في الساحل الجنوبي للبلاد، وسرعان ما تكونت مجتمعات إسلامية حافظت على هويتها الثقافية والدينية، ووصل رجالها إلى الطبقات الأولى للهرم الإجتماعي الصيني، خاصة خلال عصر أسرة يوان المغولية، وأصبحوا رعاة للفنون والعمارة والإسلامية. تهدف هذه الدراسة إلى تتبع تاريخ مسجد تشوانتشو، المسجد الوحيد القائم حاليًا في المدينة، كما تحاول الدراسة الوقوف على رعاة العمارة الإسلامية الصينية وممولي اصلاحاتها المعمارية، من خلال رصد النصوص التاريخية الصينية ذات الصلة، كما تقتفي الدراسة التطور المعماري للمسجد، وتبيين أوجه التأثيرات المعمارية المتبادلة، وتبيين الموروث المعماري للمسجد كأنموذجًا من الوحدات المعمارية الإسلامية في الصين.

الكلمات المفتاحية: عمارة، المسلمين الصينيين، مسجد الأصحاب، لوحات تذكارية، نقوش، تشوانتشو.

Abstract

During their history in China, Muslims left an unlimited number of architectural and artistic heritage, which undoubtedly confirms the extent of their presence and contribution to the great Chinese civilization through its successive dynasties. Since the arrival of Islam to China during the Tang Dynasty, it began to gradually grow in the southern coast of the country, and soon Islamic societies were formed that maintained their cultural and

religious identity, the Muslims in China became the first layers of the Chinese social pyramid, especially during the Mongol Yuan Dynasty, and they became patrons of the arts, architecture. This study aims to trace the history of the Quanzhou Mosque, the only existing mosque in the city. The study also attempts to identify the sponsors of Chinese Islamic architecture and financiers of its architectural reforms, by monitoring relevant Chinese historical texts. in this approach; The study examine the architectural development of the mosque, and to show aspects of mutual architectural influences, also to manifest the architectural heritage of the mosque as a model of Islamic architectural units in China.

Key-words: Architecture, Chinese Muslims, al-Ashab Mosque, memorial tablets, inscriptions, Quanzhou.

تقديم

تؤكد المصادر التاريخية الصينية أن الصينيين كانت لديهم معرفة قوية بالعرب قبل الإسلام بعدة قرون، حيث يرجع تاريخ العلاقات بين الصين والعرب إلى ما يقرب من ٢٠٠٠ عام؛ إذ كانت تهدف سياسة أسرة هان (٢٠٢ ق.م- ٩م، ٢٥-٢٢٠م) إلى فتح طرق تجارية مع الأقاليم الغربية للصين فيما عرف لاحقًا بطريق الحرير، ووفقًا لما ورد في المجلد رقم ٨٨ بعنوان المناطق الغربية (Xiyu) من كتاب تاريخ أسرة هان اللاحقة (Houhanshu)؛ فقد أرسل الإمبراطور وُو Wǔ (١٤١-٨٧ ق.م) تشانغ تشيان (Zhāng Qiān) (ت ١١٤ ق.م) في بعثتين إلى غرب أسيا: الأولى كانت في عام ١٣٩ ق.م، والثانية عام ١١٩ ق.م[١]، زار خلالهما عديد الدول مثل: منطقة تركستان الشرقية والهند وأفغانستان وأسيا الوسطى والعراق وسوريا[٢]، وبعد عودته من رحلته وصف بلاد العرب، بالإضافة إلى ذلك كان للتجار العرب دورًا مهمًا في العلاقات التجارية بين الصين والغرب[٣] قبل القرن الخامس الميلادي، لذلك كأن الصينيين في عهد أسرة هان على دراية جيدة بالعرب.

تشير المصادر التاريخية الصينية مثل كتاب تانغ القديم Jiu Tang Shu، أن الصينيين لم يسمعوا عن الإسلام إلا في عام ١٧هـ / ٦٣٩م، خلال عصر أول أباطرة أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧م) الإمبراطور تايزونغ Taizong (٦٢٦-٦٤٩م)؛ وذلك عندما استقبل بلاطه سفارة من آخر الحكام الساسانيين يزدجرد الثالث (٦٣١-٦٥١م)[٤] يطلب المساعدة ضد الجيوش العربية الغازية لبلاده[٥]، إلا أن

1- **Zheng,** "Lìshǐ shàng de zhōng ā wénmíng jiāowǎng", pp. 115-119.
2- **Hou Hanshu,** pp. 1967-1986.
3- **Armajani**, Iran, 4**; Leslie,** Islam in Traditional China, p. 16.
4- **Yu,** "Zhōnggǔ shíqí yīlǎng yǔ zhōngguó de sī lù shāngmào", pp.138-142.
٥- **الطبري**، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، الجزء الرابع، ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر (د ت)، ص ٢٩٥؛ **Jiu Tangshu,** 33-64.

الإمبراطور تجنّب الأمر درءًا للمتاعب التي قد تنتج عن ذلك[١]، هناك ثمة اتفاق أن الإسلام وصل إلي الصين عام ٢٩هـ /٦٥١م[٢]، وذلك في صيف السنة الثانية لفترة حكم الإمبراطور غاوزونغ Gaozong (٦٤٩- ٦٨٣م)، ثاني أباطرة أسرة تانغ، ففي ذلك العام كانت أول سفارة عربية إلى بلاط أسرة تانغ[٣]، كأول اتصال مباشر بين الصينيين والعرب[٤]، وقد أكدت المصادر الصينية هذا الإتصال؛ فنجد في المجلد رقم ٢٢١ بعنوان المناطق والأقاليم الغربية (西域) في كتاب التاريخ الحديث لأسرة تانغ Xintangshu، خبر هذه السفارة كما يلي: «خلال السنة الثانية للفترة المعروفة بإسم يونغ هوي Yong Hui (٦٥٠- ٦٥٦م)، استقبل بلاطه مبعوثًا رسميًا عربيًا، وقدم العربي التحية من أمير المؤمنين ملك العرب للإمبراطور...»[٥].

كان لقيام الدولة العربية وتوسعها في عهد الخلافة الراشدة، وما صاحبها من نمو جغرافي خلال العصر الأموي، والسيطرة على أجزاء كبيرة في قارة أسيا؛ له أبلغ الأثر في الإتصال المباشر بين المسلمين والصينين[٦]، حيث نجح قتيبة بن مسلم الباهلي (ت ٩٦هـ/ ٧١٥م) في ضم تركستان (الشرقية) (الشرقية) والإستيلاء على عاصمتها كاشغر عام ٩٦هـ/ ٧١٥م، وعلي أجزاء كبيرة من أراضي الحدود الغربية لإمبراطورية تانغ، ومع ذلك لم يزحف إلى الصين نفسها[٧]، وكان من نتيجة ذلك انتشار الإسلام الإسلام بين شعوب الترك والفرس، وأصبح العرب في اتصال مباشر مع الصينيين للمرة الأولى[٨]، وصاحب هذا المد العربي الإسلامي سيطرة التجار العرب على طرق التجارة بين الشرق والغرب. وبفضل التجار المسلمين تم تعزيز انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا والصين[٩]، منذ القرن الأول وحتى القرن السابع الهجري، اعتنقت شعوب شبه جزيرة الملايو، وجزر جنوب شرق آسيا الإسلام[١٠]، ومن ثم فإن التجار المسلمين الذين ذهبوا للصين نشروا الإسلام في تلك الأرض الواسعة، حيث استمر تدفق التجار والأثرياء من العرب والفرس إلى الصين[١١]، وحملوا شعائر دينهم وثقافتهم إليها، فالتجارة بين الصينيين من ناحية وبين المسلمين من عرب وفرس من ناحية أخري قد ازدادت بشكل ملحوظ منذ

1- **Xiaofu,** Shǐ zhèngdà tǔ táng zhì shí fān guānxì, p. 88.
2- **Leaning;** Pratt, "Islam in China, From Silk Road to Separatism", p. 310; **Chenyu Ning & Tang Xiaofang,** Zhōngguó huízú wénwù, p. 16.
3- **Steinhardt,** "China's Earliest Mosques", pp. 331.
4- **Zheng,** "Lìshǐ shàng de zhōng ā wénmíng jiāowǎng", pp. 115-119.
5- **Xin Tangshu,** pp. 6214-6220; **Wang Xiaofu,** Shǐ zhèngdà tǔ táng zhì shí fān guānxì, p. 91.
6- **Hagras,** "An Ancient Mosque in Ningbo," pp. 102-113.
7- **Benite,** "Even unto China", p. 97.
8- **Wahby,** Islamic Architecture in China, p. 8.
9- **Guang'en; Chenghua,** "Jīndài yīsīlán jiào chūtàn", p. 113.
10- **Mei,** "Ālābó-yīsīlán zhuāngshì yìshù fēnggé", pp. 34-50.
11- **Mei,** "Ālābó-yīsīlán zhuāngshì yìshù fēnggé", p. 13.

القرن الأول الهجري (السابع الميلادي). في الواقع كان التجار المسلمون هم السبب الأساسي لوصول الإسلام للصين[١]، فقد كان التجار المسلمين في عصر أسرة تانغ يتمتعون بوضع مميز، أتاح لهم التمدد وبناء منازلهم ومساجدهم[٢]، بالإضافة إلى الإمتيازات والفرص السياسية والإقتصادية التي مُنحت لهم[٣]، بقدوم التجار أصبحت المدن الكبرى لها سفارات وبعثات وقوافل تجارية[٤]، وعادت تلك التجارة بأموال طائلة على التجار المسلمين، كانت كافية لتبرر وجودهم الدائم في المدن الساحلية الصينية.

تاريخ الإسلام في مدينة تشوانتشو

تقع مدينة تشوانتشو على نهر جينجيانغ وعلى مقربة من البحر، وهو مكان توقف طبيعي للسفن التجارية بين قوانغتشو والموانئ في نهر يانغتسي السفلي مثل مدينتي يانغتشو Yangzhou وهانغتشو Hangzhou (لوحة ١)، وصلت مدينة تشوانتشو إلى مكانتها كأحد الموانئ الرئيسية للتجارة البحرية في عصر اسرة سونغ الجنوبية، وفي بعض الأحيان تفوقت على نظيرتها قوانغتشو، وظلت مركزًا رائدًا للتجارة الخارجية حتى أواخر عصر أسرة يوان، وقد شهدت المدينة منذ عصر أسرة تانغ وصولًا إلى عصر أسرة يوان المغولية حركة هجرات واسعة من العالم الإسلامي لأغراض اقتصادية وتجارية ودينية وغيرها، مثلها في ذلك مثل المدن الساحلية الصينية كقوانغتشو ويانغتشو وهانغتشو. كانت المدينة تُعرف لدى العرب بإسم مدينة الزيتون، وهو ما ورد في كتابات الرحالة والمؤرخين مثل ابن بطوطة، والذي علق على اسمها بقوله «لما قطعنا البحر، كانت أول مدينة وصلنا إليها مدينة الزيتون، وهذه المدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد أهل الصين والهنود»[٥].

كان عصر أسرة سونغ بمثابة نقطة انطلاق حقيقية لعصر اقتصادي ذهبي للمدينة، استمر لقرون لاحقة، ورسخ المسلمون أقدامهم في المدينة بصورة هيمنوا فيها على أمور التجارة والإقتصاد والسياسة، ومما يدل على كثرة عددهم وثرائهم وقدراتهم الإقتصادية بها أن أسرة سونغ الشمالية اعتمدت على تبرعات المسلمين الأجانب في المدينة وذلك عام ٦٠٧هـ/ ١٢١١م[٦].

من الجدير بالذكر أن المجتمعات المسلمة في المدينة كانت قد عاشت خلال عصر أسرتي سونغ ويوان فترة مزدهرة للغاية، هذا وقد حفظت لنا النصوص التاريخية أسماء عديد العائلات المسلمة التي تصدرت المشهد السياسي في مدينة تشوانتشو خلال عصر أسرة يوان مثل عائلات دينغ Ding (丁)،

1- **Dillon,** Muslim Hui Community, p. 11.
2- **Broomhall,** Islam in China, p. 47.
3- **Marshallsay,** "Between The State and Islam", p. 2.
4- **Gernet,** A History of Chinese Civilization, p. 281.
٥- **ابن بطوطة**، الرحلة، دار صادر بيروت، ١٩٩٢م، ص ٥٦٥.
6- **Ping,** Zhōngguó yīsīlán jiào jiànzhú, p. 4.

بو Pu (蒲)، سو Su (苏)؛ ومما يدعم ذلك أن بوشوو غونغ، Pu Shougeng (蒲壽庚)، كان أحد أغنى التجار في مقاطعة فوجيان عندما تم تعيينه حوالي عام ١٢٥٠م، مشرفًا على تجارة الشحن (مسؤول مكتب الجمارك) في تشيوانتشو، وكان لديه قوة اقتصادية وسياسية أهلته لأن يشغل هذا المنصب لما يقرب من ثلاثين عامًا بين عامي ١٢٥٠م و١٢٨٠م، و ظلت عائلته بارزة تحت حكم أسرة يوان[١]، هذا وقد تزايدت أعداد التجار المسلمين في المدينة بصفة خاصة خلال عصر أسرة يوان المغولية، ووصلت التجارة في عهدهم إلى نسب غير مسبوقة[٢].

(لوحة ١)
خريطة لموقع
مدينة تشوانتشو

وقد زار المدينة الرحالة ابن بطوطة عام ١٣٤٥م وذكرها قائلًا «لما قطعنا البحر، كانت أول مدينة وصلنا إليها مدينة الزيتون، وهذه المدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد أهل الصين والهنود، ولكنه اسم أُطلق عليها، وهي مدينة عظيمة كبيرة تُصنع بها ثياب الكمخا والأطلس، وتعرف بالنسبة إليها. ومرساها من أعظم مراسي الدنيا أو هو أعظمها»[٣]، تشير المصادر النصية والاكتشافات الأثرية إلى أنه قد تم إنشاء العديد من المساجد بمدينة تشوانتشو[٤] - شأنها في ذلك شأن غيرها من المدن الصينية- خلال عصر أسرة سونغ، ومع ذلك، فإن المسجد الوحيد الباقي هو مسجد الأصحاب، وهو أقدم بقايا معمارية إسلامية بعمارتها الأصلية تم العثور عليها في الساحل الصيني. وقد تزايدت أعداد

[1]- **Leslie,** Islam in Traditional China, pp. 65-66.
[2]- **Zhu,** Evidence of Existing Knowledge of China, p. 42
[3]- **ابن بطوطة**، الرحلة، ص ٥٦٥ .
[4]- **Schottenhammer,** The Emporium of the World, p. 51.

التجار المسلمين في المدينة بصفة خاصة خلال عصر أسرة يوان المغولية، ووصلت التجارة في عهدهم إلى نسب غير مسبوقة[1].

مسجد الأصحاب

يقع المسجد في شارع تونغهوي (Tonghuai) المعروف بشارع تومين (Tumen) بمنطقة ليتشانغ (Licheng) في مدينة تشوانتشو بمقاطعة فوجيان جنوب شرقي الصين[2]، ويعتبر المسجد واحدًا من "المساجد الأربعة الكبرى على طول بحر الجنوب" جنبًا إلى جنب مع مساجد قوانغتشو وهانغتشو ويانغتشو. للمسجد عديد الأسماء وُسم بها عبر تاريخه؛ فيُعرف بإسم شانج يوسي (圣友寺-Shèngyǒusì) ومعناه اللغوي مسجد الأصحاب المقدسين (الصحابة)، كما يُعرف بإسم مسجد تشينج جينغ سي (清净寺-Qīngjìngsì) وترجمته بالعربية "مسجد النقاء والصفاء"، كما يُنسب إلى المدينة لذا يُطلق عليه مسجد تشوانتشو (泉州清真寺-Quánzhōu qīngzhēnsì). نظرًا لأهمية المسجد التارخية والثقافية؛ فقد تم إدراجه في عام ١٩٦١م، ضمن أول حصر معماري للتراث الصيني، وخضع لوحدات حماية الآثار الثقافية الوطنية الرئيسية، وفي التسعينيات من القرن الماضي، تم اختياره باعتباره المسجد الإسلامي الصيني الوحيد من بين أفضل عشرة عمائر دينية مشهورة في الصين.

النقش التأسيسي للمسجد

يُعد مسجد الأصحاب المسجد الوحيد الذي احتفظ بالنقش التأسيسي الذي يشير إلى تاريخ المسجد، وهو عبارة عن لوحة حجرية تعلوا المدخل الشمالي لدركاة المدخل المواجه لمدخل بيت الصلاة، وتضم كتابات عربية بخط الثلث نظمت في سطرين (لوحة ٢)، أما عن نصه كما يلي: «إن أول مسجد للناس في هذا [هذه] الأرض كان هذا المسجد المبارك المسمى العتيق والمقدس ... بالجامع والشارع الملقب مسجد الأصحاب وكان ذلك في تاريخ سنة أربعمائة من الهجرة النبوية وبعد ما مضى من تاريخه المذكور ثلثمائة سنة عمره وجدده... وأسس هذا الطاق العالي والرواق الرائيع [الرائع] والباب الكريم والشبابيك الجديدة أتمه في تاريخ سنة عشر وسبعمائة للهجرة طلبًا لمرضات الله تعالى أحمد بن محمد القدسي المعروف بحاجي ركن الشيرازي غفر الله له ولمن عاونه بمحمد وآله».

[1]- **Zhu,** Evidence of Existing Knowledge of China, p. 42.
[2]- **Ting,** "Lüè lùn sòngdài yīsīlán jiào jiànzhú", pp. 70-76.

(لوحة٢) مسجد الأصحاب- النقش التأسيسي

ضمن تراثه، يحتفظ المسجد بلوحة نقش صيني (لوحة ٣)، اللوحة مؤرخة بالسنة التاسعة من فترة حكم الإمبراطور طغون تيمور (١٣٣٣- ١٣٦٨م)، وهي السنة التي توافق ١٣٥٠م، وهذه اللوحة ما هي إلا نسخة للوحة الأصلية، كتب نصها المكتتب الحكومي ووجيان Wu Jian عام ١٥٠٧م بعدما تعرضت اللوحة الأصلية لضرر كبير. تعد هذه اللوحة عظيمة الأهمية؛ وما ذلك إلا لكونها أقدم أنموذجًا للوحات الكتابية الصينية الخاصة بمسلمي الصين، يشير نصها إلى أن المسجد تأسس خلال عهد أسرة سونغ الجنوبية، وذلك عام ١١٣١م في جنوب مدينة تشيوانتشو على يد تاجر فارسي من سيراف، نجيب مزهر الدين[1]، Nàzhǐbo Mùzīxī lǔdīng، (納只卜穆茲喜魯)، الذي قدم إلى المدينة خلال عصر أسرة سونغ وذلك في السنة الأولى من فترة شاوسينغ (١١٣١-١١٦٢م) الواقعة في عصر الإمبراطور غاوزونغ (١١٢٧-١١٦٢م)، وقام ببناء المسجد في جنوب المدينة، واشترى المنازل والأراضي الزراعية وأوقفها عليه، كما أشار النقش أنه في عامي ١٣٤٩م و١٣٥٠م قام كل من الشيخ برهان الدين وشرف الدين خطيب و جين علي أحد قادة المسلمين بالمدينة بتمويل عملية اعادة عمارة المسجد.

(لوحة ٣) مسجد الأصحاب- النقش الصيني المؤرخ بعام ١٣٥٠م.

على الرغم من وجود النقش التأسيسي، إلا أن الجدل ما زال قائمًا حول تاريخ تأسيس المسجد، لا شك في صحة النقش العربي، حيث أن الألواح الحجرية التي نقشت عليها لا تظهر أي علامة على نقلها في وقت لاحق، ولكنها جزء أصلي لا يتجزأ من الجدار، بالإضافة إلى ذلك، يظهر النقش العربي بنفس أسلوب الشرائط الكتابية القرآنية الممتدة على طول جدران المدخل والواجهة الجنوبية لبيت الصلاة المطلة على الطريق الرئيس أمام المسجد، وكذلك جميع الواجهات الداخلية لبيت الصلاة. نظرًا لأن كلاً النقشين المتعلقين بتأسيس المسجد يبدو أنهما حقيقيان، فقد تركز النقاش على ما إذا كان هناك مسجدان مختلفان تم تأسيسهما في أوقات مختلفة من قبل أشخاص مختلفين، أو ما إذا كانا يشيران إلى مسجد واحد يحمل أسماء مختلفة في كلا من النقوش العربية والصينية[2].

[1]- إلى جانب مزهر الدين، قد ينطق الإسم بأشكال مختلفة مثل: مظهر الدين، موصل الدين، أو معز الدين.

[2]- **Chen,** Mosques of the Maritime Muslim Community of China, p. 54.

لمحو هذا الإلتباس، نرجع إلى ما أورده ابن بطوطة عن المدينة عام ١٣٤٥م، حيث قدم روايته عن كبار التجار ورجال الدين المسلمين، وإذ نقتبس قوله «لما قطعنا البحر، كانت أول مدينة وصلنا إليها مدينة الزيتون. وهذه المدينة ليس بها زيتون، ولا بجميع بلاد أهل الصين والهند، ولكنه اسم وضع عليها، وهي مدينة عظيمة كبيرة... وجاء إلي كبار التجار، فيهم شرف الدين التبريزي، أحد التجار الذين استدنت منهم حين قدومي على الهند، وأحسنهم معاملة... وكان بها من المشايخ الفضلاء برهان الدين الكازروني، له زاوية خارج البلد، وإليه يدفع التجار النذور التي ينذرونها للشيخ أبي إسحق الكازروني»[١].

يبدو أن الشخصين اللذين سماهما ابن بطوطة وهما التاجر شرف الدين التبريزي والشيخ برهان الدين الكازروني هما ذاتهما في نقش عام ١٣٥٠م، لذا فإن جميع النصوص تدعم بعضها البعض بشكل مستقل. ومن ثم، فإن المعلومات الخاصة بمسجد تشينغجينغ الواردة في نقش عام ١٣٥٠م يجب اعتبارها دقيقة. وبناءًا على السرد التاريخي السابق وأمام هذه النصوص الموثوقة، نحن أمام فرضيتين: فأما الأولى أن المسجد تأسس لأول مرة في عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩-١٠١٠م، ولكن تم هدمه ثم أعيد بناؤه عدة مرات في مراحل زمنية مختلفة، وهذا يفسر التواريخ المختلفة في النقوش العربية والصينية، واستندت أرائهم في ذلك أن أحد تفسيرات الاختلاف بين النقشين العربي والصيني، أن كلا النقشين يسجلان مراحل مختلفة من إعادة بناء المسجد أو يعكسان وجهة نظر مختلفة في تسجيل المراحل التاريخية للمسجد[٢].

وأما الفرضية الثانية فتقوم على أساس أن النقشين لمسجدين مختلفين في المدينة ذاتها، حيث أن النقش العربي واللوحة الصينية تروي صراحةً تواريخ التأسيس والتجديد ومن قام بتأسيس المسجد وتجديده، كما أن نص النقش لا يحدد فقط التاريخ والمؤسس أو ممولي العمارة للمسجد المذكور في نقشه، بل يحدد بكل اطمئنان موقعه في جنوب المدينة خارج البوابة الجنوبية السابقة للمدينة، بينما يقع مسجد الأصحاب في شارع تونغواي في جنوب شرق المدينة، داخل حدودها القديمة[٣].

وفي هذا اقترح تشن داشينج (Chen Dasheng)، أن كلا المسجدين في النقشين العربي والصيني مختلفين، وأن النقش الأصلي لعام ١٣٥٠م ربما يكون قد تعرض للتلف عندما تم تدمير مسجد تشينغجينغ، وافترض أيضًا أن مسجد الأصحاب (الحالي) كان المسجد الوحيد الذي ظل قائمًا في

---

[١]- **ابن بطوطة**، الرحلة، ص ٦٣٦.

[2]- **Chen,** Mosques of the Maritime Muslim Community of China, 54.

[3]- **Chen,** Mosques of the Maritime Muslim Community of China, 54.

المدينة بحلول عام ١٥٠٧م[١]، ومما يدعم هذا الإفتراض؛ أنه عندما جرى تفكيك سور المدينة على مقربة من بوابتها الجنوبية في الفترة ما بين سنتي ١٩٤٦م و ١٩٤٨م تم العثور على أكثر من عشرين قطعة من الجرانيت منقوشة بكتابات عربية، إلى جانب ذلك اكتشفت أكثر من ٣٠ قطعة من الأعمدة الحجرية، منقوشة برسوم الأزهار إلى جانب الآيات القرآنية. وجدير بالذكر ان موقع هذه الاكتشافات يتفق مع موقع مسجد تشينغجينغ المذكور في النقش الصيني لعام ١٣٥٠م، وهو الأمر الذي قدم دليلا داعمًا على صحة قول أصحاب وجهة النظر القائلة بأن مسجد الصحاب غير مسجد تشينغجينغ[٢].

نستطيع أن نحدد باطمئنان وثقة شديدين أن مسجد الأصحاب ليس مسجد تشينجينغ لأسباب عدة نسردها كما يلي: من المنطقي أن نفترض أنه بعد تدمير مسجد تشينغجينغ، تم نقل لوحته الصينية المؤرخة بعام ١٣٥٠م إلى مسجد الأصحاب، وهو حدث على الأرجح حدث في الاضطرابات التي صاحبت سقوط أسرة يوان في ستينيات القرن الثالث عشر الميلادي، وبمرور الزمن وتعاقب العصور، ولما لم يكن هناك أشخاص قادرين على مقارنة اللوحة الصينية بنقش مسجد الأصحاب المكتوب بالعربية، وهي لغة لم يكن أحد يستطيع قراءتها في مدينة تشيوانتشو في القرن السادس عشر الميلادي، كنتيجة منطقية لسياسة التصيين التي تبنتها الحكومات الصينية المتعاقبة، وهو ما أدى إلى استيعاب المسلمين قسرًا في الثقافة المحلية الصينية، وهو ما جعل المسلمين الصينيين يستخدمون اسم "تشينجينغ"، الموجود في النقش الصيني بديلًا عن "الأصحاب" الموجود في النقش العربي. وفي هذا السياق، اكتسب مسجد الأصحاب اسمًا جديدًا، وأصبح معروفًا باسم مسجد تشينغجينغ. نتيجة لما تقدم تفصيلًا، فإن جميع النقوش والنصوص التاريخية بعد عام ١٥٠٧م التي تتضمن اسم مسجد تشينغجينغ أصبحت تشير بصورة مباشرة إلى مسجد الأصحاب.

الوصف المعماري للمسجد

لا تكمن أهمية مسجد الأصحاب في حجمه، رغم أنه مثير للإعجاب، ولكن في شكله المعماري المتمايز بصورة كلية وتامة عن سمات العمارة الصينية التقليدية (لوحة ٤)، من الواضح أن تخطيطه العام يتبع التقاليد المعمارية للعالم الإسلامي، يذكر النقش أنه تأسس عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩-١٠١٠ م، وأنه كان هناك تجديد كبير في عام ١٣١٠م، مما يشير إلى مرحلتين على الأقل من البناء.

[1]- **Dasheng; Weiji,** "Quanzhou Qingzhen Si Shiji Xinkao", pp.102-114.

[٢]- **لي هواين**، المساجد في الصين، الطبعة الأولى، بكين: دار النشر باللغات الأجنبية ١٩٨٩م، ص ٢٢.

على النقيض من التقاليد المتبعة في تخطيط المساجد الصينية القديمة، والتي اتسمت بوقوع المدخل في الناحية الشرقية للمسجد، ووقوع بيت الصلاة داخل سور المجمع في الناحية الغربية، يحتفظ مسجد الأصحاب بتخطيط فريد من نوعه في الصين (لوحة ٥)، يقع المدخل في الجهة الجنوبية الشرقية، ويجب على المرء بعد السير عبر بوابة المدخل أن يتخذ انعطافًا حادًا إلى اليسار إذا أراد الوصول إلى قاعة الصلاة، أما بيت الصلاة فيطل على الطريق مباشرة عبر ثمانية نوافذ، وهو الأمر الذي يعد بمثابة ظاهرة معمارية لم تكن شائعة في مساجد الصين أنذاك، ومرد ذلك أن المسلمون كونهم كانوا يعيشون كأقلية دينية، عمدوا على بناء أسوار خارجية تحيط بوحدات المساجد مثل بيت الصلاة والمئذنة وقاعات التدريس والميضأة وغيرها، لحجب أعين المارة عن مشاهدة ما يدور في الداخل من عبادات.

(لوحة ٤) مسجد الأصحاب- منظر عام للمسجد

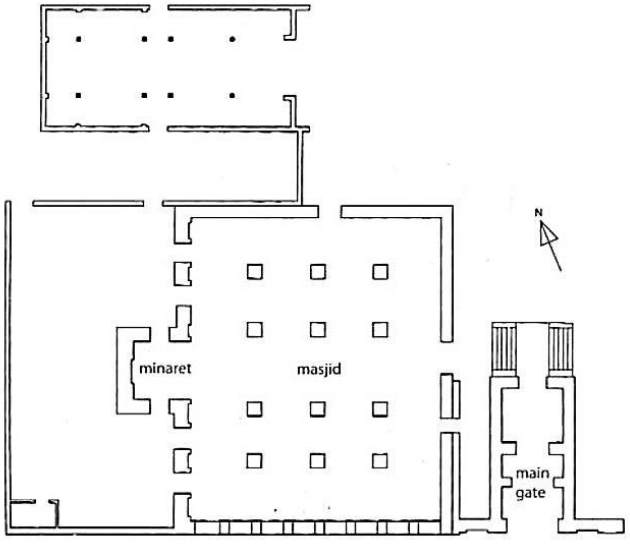

(لوحة ٥) مسجد الأصحاب- المسقط الأفقي للمسجد
(نقلًا عن: Steinhardt)

قد يشير هذا التخطيط إلى حد ما إلى أن البوابة وقاعة الصلاة لم يتم بناؤهما في نفس الوقت، أو ربما اختص المسلمون بسكنى المنطقة فقط دون غيرهم، وهو ما ساعدهم على بناء مثل هكذا عمارة دينية في بلد لا تدين غالبية أهلها بدينهم ولا يحكمها أناس من ذوي ملتهم.

المدخل

يتبع المدخل في تصميمه العام طراز المداخل الإسلامية[1] خاصة الفارسية منها المعروفة بإسم باشتاك (لوحة ٦)، ومادة بنائه هي الجرانيت، ويأخذ مسقط مربع يبلغ طول ضلعه ٤م، وارتفاعه ١١,٤م، وهو عبارة عن فتحة معقودة بعقد مدبب مستدق الرأس، يعلوه لوحة كتابية تحمل آيات قرآنية من سورة آل عمران نصها "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" (سورة آل عنران، الآيتين ١٨-١٩)، يتوج المدخل من حافته العلوية صف من الشرافات المربعة يتوسطها حنية معقودة بعقد مدبب شبيهة بالمحراب، وارتكزت الشرافات على افريز حجري محمول على صف من القرون المسننة.

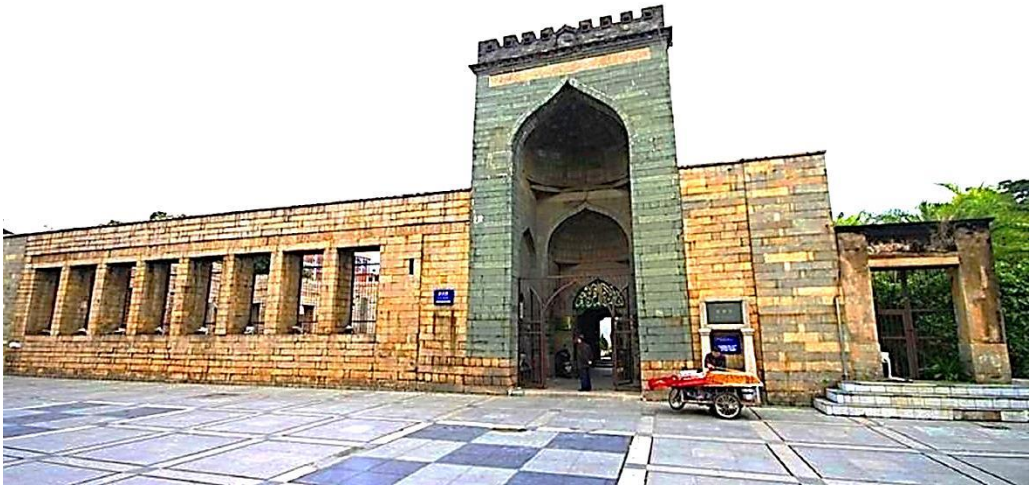

(لوحة ٦) مسجد الأصحاب- الواجهة الرئيسة

يفضي المدخل إلى ثلاثة مساحات وهي: حجر المدخل والممر والدركاة (لوحة ٧) أما حجر المدخل فتم تسقيفه بنصف قبة مزينة بثمانية شرائط بارزة، وهي التقنية المعمارية التي ظهرت في العمارة السلجوقية في إيران خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين)، مثل قبتي نظام الملك وتاج الملك بمسجد الجمعة بأصفهان ومسجد الجمعة بأرديستان وغيرهم[2]، وترتكز القبة في الجانبين على مثلث مفرغ، وهو ما يدعونا إلى اليقين بأن تخطيط المسجد ومفرداته وعناصره المعمارية تم بنائها وفق الطراز الفارسي، وشاد بنيانه معماريين فرس.

1- **Hagras,** "Xi'an Daxuexi Alley Mosque", pp. 97-113.
2- **Garofalo,** "The Geometry of a Domed Architecture", pp. 169–195.

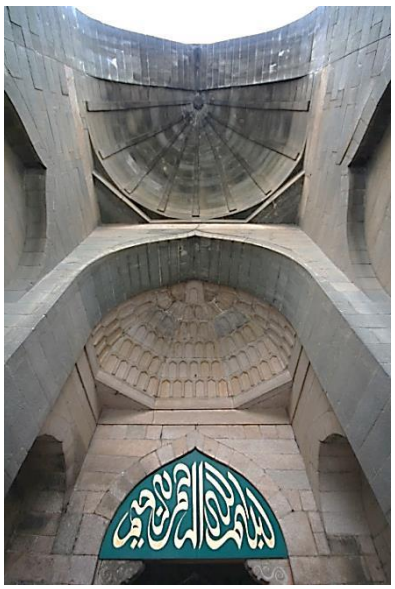

(لوحة٧) مسجد الأصحاب- المدخل

للحجر ثلاثة عقود مدببة، بواقع واحد في كل من جوانبه الثلاثة، العقدان الجانبيان يتوج كل منهما دخلة ضحلة يتوسطها نافذة معقودة بعقد مماثل، أما العقد الثالث فهو الأضخم ويتوج فتحة الدخول إلى ممر أو دركاة المسجد، ويعلوا فتحة الدخول نصف قبة شبيهة بتلك التي تعلوا المدخل الكبير، غير أنها مزينة بستة صفوف من العقود المدببة الصغيرة الشبيهة بالمحاريب.

أما المساحة الثانية فتمثل ممر المدخل وهي مسقوفة بسقف مستوي، ولها فتحة باب تفضي للمساحة الثالثة وهي الدركاة المغطاة بقبة محمولة على منطقة انتقال مماثلة لقطاعي قبتي المدخل والحجر(لوحة ٨)، والقبة غير مزخرفة وتبدو منطقة الإنتقال في هذا المقطع أكثر استدارة قليلاً من تلك الموجودة في نصفي قبة حجر المدخل، وهو ما يشير إلى أن تاريخ بنائها ربما يعود إلى مرحلة تاريخية مختلفة؛ من المحتمل أنه كان هناك مدخل سابق تم بناؤه قبل إنشاء البوابة، وقد تم دمج هذا لاحقًا في العمارة

لوحة (٨) مسجد الأصحاب- قبة الدركاة

الجديدة. يمكن أن يكون الممر المقبب وكذلك بعض الأجزاء الأخرى من الهيكل من تاريخ أقدم، قبل تجديدات عام ١٣١٠م، يتخلل الجدار الشمالي للدركاة فتحة باب ذات عتب مستقيم يعلوه عقد مدبب مسمط، ويزين الواجهة الشرقية لهذا الباب النقش التأسيسي للمسجد والذي أشرنا إليه سابقًا.

بيت الصلاة

نصل إلى بيت الصلاة عبر المرور من المساحات الثلاثة لكتلة المدخل ثم الإنعطاف يسارًا والصعود على درج مكون من ستة درجات في صدره فتحة باب ذات عتب مستقيم يعلوه عقد مدبب مستدق الرأس، تتوسط الجدار الشرقي لبيت الصلاة، ويعلوا فتحة الباب بين العتب والعقد مساحة كتابية تتكون من ثلاثة أشرطة قرآنية منفذة بخط الثلث نصها "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى (سورة البقرة، الآية ١٢٥)- أن طهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود (سورة الحج، الآية ٢٦)- وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم"، (سورة البقرة، الآية ١٢٧)، (لوحة ٩- ١٠).

(لوحة ٩) مسجد الأصحاب- مدخل بيت الصلاة

(لوحة١٠) مسجد الأصحاب- نقش مدخل بيت الصلاة

بني بيت الصلاة من الجرانيت بلون مختلف نسبيًا عن ذلك الذي استخدم في كتلة المدخل الذي يميل إلى الزرقة، بينما في بيت الصلاة يميل إلى اللون الوردي. يشغل بيت الصلاة تخطيط على هيئة شكل ⊔، حيث ينقسم إلى مساحتين: الأولى وهي قاعة الصلاة وهي عبارة عن مساحة مستطيلة طولها من الشرق إلى الغرب ٢٣م، ومن الشمال غلى الجنوب ١٩م، والثانية مقصورة المحراب التي تتوسط

الجدار الغربي وهي عبارة عن مساحة مربعة طول ضلعها ٣م، تحتوي قاعة الصلاة على اثنتي عشرة قاعدة حجرية نظمت في ثلاثة صفوف موازية لجدار القبلة.

الواجهة الجنوبية الغربية (الخارجية- الرئيسة) عبارة عن جدار حجري بسيط مثقوب بثمانية نوافذ مستطيلة الشكل، وهي مربوطة بصريًا بشريط نقش محفور في المسار الحجري الذي يمتد فوق عتبات النافذة مباشرة (لوحة ١١)، هذه الوضعية المعمارية تتناقض تمامًا مع ثقافة العزلة النسبية لدى مسلمي الصين في المقاطعات الداخلية، وهو الأمر الذي لم يظهر في معظم المساجد الصينية والتي كانت عادة ما تكون محددة بأسوار مرتفعة تعزلها عن الخارج، ولا يرى من بخارج المسجد ما يدور داخل ساحاته وأبنيته، أما في حالة مسجد الأصحاب، فالأمر على النقيض تماما، حيث يستطيع من بالخارج وفي الطريق العام رؤية العبادات داخله، وبالتالي يمكن يشير هذا الأمر إلى كثرة أعداد المسلمين عند بناء المسجد من ناحية، أو ربما يشير إلى الحرية التي تمتعوا بها ذات مرة، وكذا القوة التي مارسوها من ناحية أخرى.

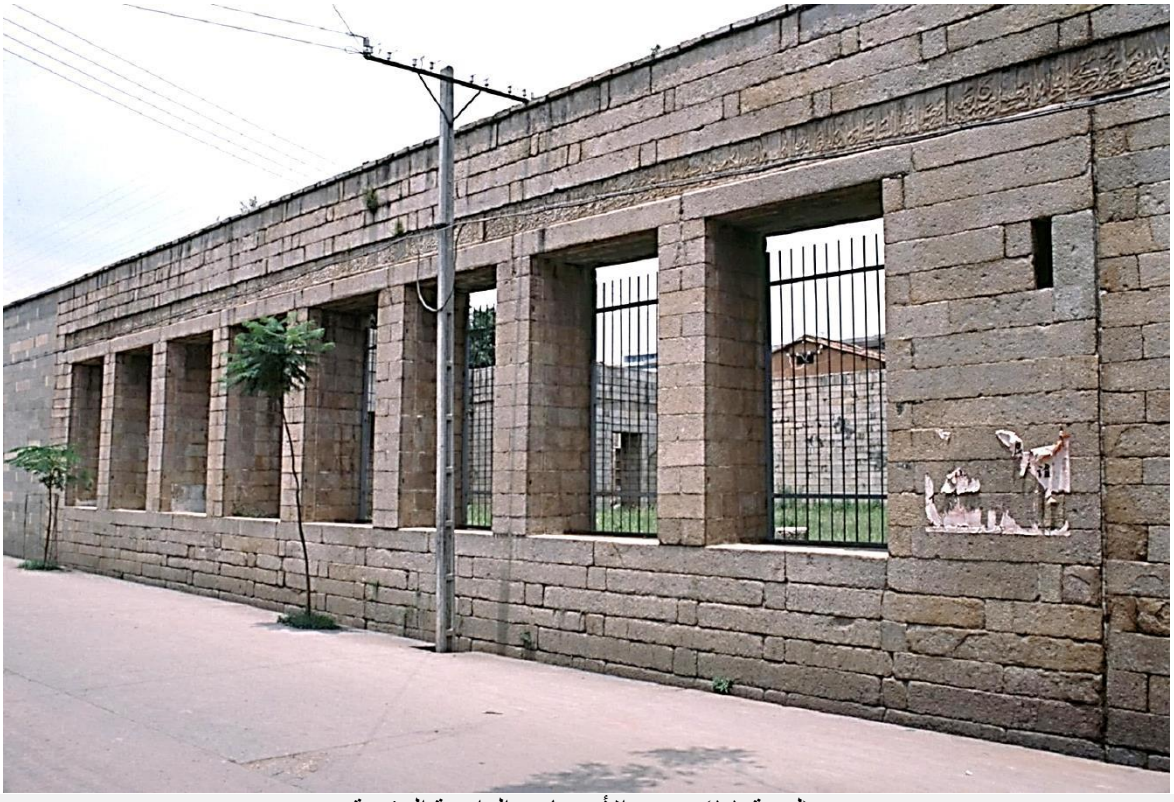

(لوحة ١١) مسجد الأصحاب- الواجهة الرئيسة

زخرفت الواجهة الخارجية الرئيسة لبيت الصلاة بشريط كتابي يحتوي على سورة الإنسان كاملة[1]، والكتابة نفذت بخط الثلث، ودقة الكتابات في المسجد تشير إلى أن من قام بنقشها كان متمرسًا علي هذا الفن ومتقنًا للعربية إلى حد بعيد أو ربما كان أحد الحرفيين العرب.

من ناحية أخرى لم يهمل المعمار جدران بيت الصلاة دون كتابات مماثلة؛ حيث يدور شريط كتابي علوي يدور مع جميع الجدران عدا جدار المدخل (الجدار الشرقي)، وتبدأ من الكتابات من الجدار الشمالي وتنتهي بالجدار الجنوبي، والنقش عبارة عن نص قرآني طويل محفور بالخط الثلث، ومع ذلك فهو يتكون من اقتباسين قرآنيين منفصلين، ويبدأ النقش بسورة المعارج كاملة، ثم يكتمل بهاءه بآيات من سورة آل عمران بدءً من الآية ٤ وصولًا للآية ١٤٢[2]، (لوحة ١٢، ١٣، ١٤).

أما فيما يخص سقف بيت الصلاة، فإن أعمدة الطرف العلوي -فيما تبدو- وكأنها كانت مخصصة لدعم سقفًا ذو نمط مختلف عن السقف الجمالوني الخشبي وفق الطراز الصيني المتبع في معظم مساجد الصين.ربما يعتقد البعض أن يكون بيت الصلاة المستطيل مغطى في الأصل بسقف مسطح يرتكز على الأعمدة وفقًا لأقدم نوع من المساجد ذات الأعمدة في العالم الإسلامي، غير أنه استنادًا إلى أن المعمار استخدم قطاعي قبة في المدخل، وقام برفع قبة كاملة على الدركاة خلف المدخل من ناحية، واستيراد أنماطًا معمارية وزخرفية متمايزة بصورة عظيمة عن التقاليد المعمارية الصينية المحلية المتبعة؛ فإننا نعتقد أن التخطيط الذي اعتمد عليه المعمار كان يهدف إلى تغطية بيت الصلاة بغطاء يتفق مع التقاليد المعمارية في العالم الإسلامي، ومما يدعم افتراضنا أن الممحص لمواقع قواعد الإثنى عشر عمودًا داخل بيت الصلاة، يلاحظ أنه نتج عنها مساحات تتكون من ٢٠ مساحة مربعة؛ وهو الأمر الذي يدفعنا إلى الاعتقاد بأن بيت الصلاة كان مخطط له سلفًا تغطيته باستخدام سلسلة من القباب الصغيرة، وهو الأمر الذي ينطبق أيضًا على مقصورة المحراب.

ولكن السؤال الذي يطرح ذاته: أين القباب؟ الحقيقة لا توجد دلائل تاريخية أو شواهد أثرية على اقامة قباب فوق بيت الصلاة. نحن هنا أما افتراضين: أولهما أن القباب كانت قد أقيمت بالفعل، غير أنها تهدمت لعوامل عديدة مثل مئذنة المدخل التي أشارت إليها النصوص التاريخية، وثانيهما أنه لم تبن القباب، واستعاضوا عنها بسقف خشبي جمالوني، ومرد ذلك -ربما- لنقص التمويل اللازم للبناء، خاصة وأن عمليات التمويل كانت تعتمد على التبرعات وتكاتف المجتمع المسلم بالمدينة، ولا تتم عمليات التمويل من قبل الطبقة الحاكمة والبلاط مثلما كان متبعًا في العالم الإسلامي. عثر علماء الآثار

[1]- **Wahby,** Islamic Architecture in China, p. 100.
[2]- **Wahby,** Islamic Architecture in China, p. 101.

الصينيون في بيت الصلاة على شظايا من البلاط والطوب تعود إلى عصر أسرتي مينغ وتشينغ، وفي هذا السياق اقترح تشين داشينج أن بيت الصلاة ربما كان مغطى بسقف من الطراز الصيني في بعض الأوقات خلال عصر الأسرتين المذكورتين[1]، إذا كان هذا هو الحال، كان من الممكن إضافة القبة مع سقف على الطراز الصيني. إذا كان الأمر كذلك، فربما كان نوعًا من القباب الخشبية المخروطية الصينية مثل قبة مقصورة محراب مسجد نيوجيه في بكين.

لوحة (١٢) مسجد الأصحاب- الزاوية الشمالية الشرقية لبيت الصلاة

لوحة (١٣) مسجد الأصحاب- الزاوية الجنوبية الشرقية لبيت الصلاة

[1]- **Dasheng,** Quánzhōu yīsīlán shíkè, p. 7.

لوحة (١٤) مسجد الأصحاب- جدار القبلة لبيت الصلاة

يتوسط المحراب الجدار الغربي للمقصورة (لوحة ١٥-١٦)، وهو عبارة عن حنية ضحلة معقودة بعقد مدبب، مملوء بسبعة أشرطة من الكتابات العربية تضمنت بصورة رئيسة آيات قرآنية نصها كما يلي:

الشريط الأول: "لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الشريط الثاني: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (سورة الأنبياء، الآية ١٠٧).

الشريط الثالث: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (سورة المائدة، الآية ٥٥).

الشريط الرابع: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ (سورة آل عمران، الآية ١٤٤) مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ (سورة الأحزاب، الآية ٤٠).

الشريط الخامس: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (سورة الصف، الآية ٦):

الشريط السادس: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ (سورة الفتح، الآيتين ٢٨-٢٩).

الشريط السابع: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (سورة البقرة، الآية ٢٠٧) ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" (سورة التوبة، الآية ٤٠).

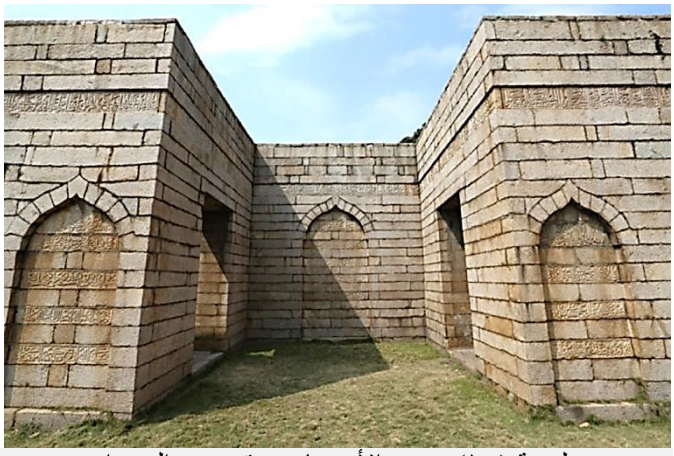

لوحة (١٥) مسجد الأصحاب- مقصورة المحراب

لوحة (١٦) مسجد الأصحاب- المحراب

بينما فتح في كل من الجدارين الجانبين للمقصورة نافذة مستطيلة قائمة بشكل رأسي، ويكتنف مقصورة المحراب نافذتين مستطيلتين قائمتين بشكل رأسي فتحتا في الجدار الغربي لبيت الصلاة. أما جدار القبلة لبيت الصلاة، فقد فتح به ٤ نوافذ مستطيلة قائمة بشكل رأسي متناوبة مع ستة محاريب، ويحوي كل محراب خمسة أشرطة كتابية عربية.

المحراب الأول:

"وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ" (سورة آل عمران، الآيات ١٨٩-١٩٢)، (لوحة ١٧).

لوحة (١٧) المحراب الأول

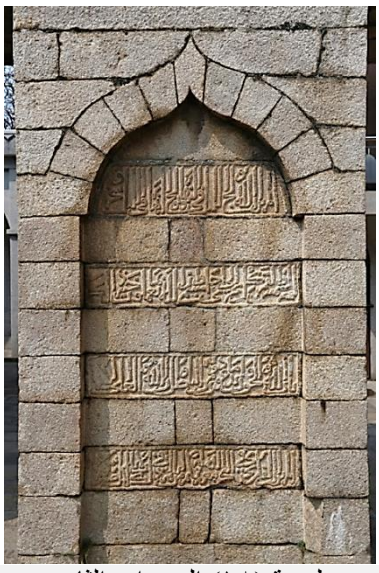

لوحة (١٨) المحراب الثاني

لوحة (١٩) المحراب الثالث

المحراب الثاني

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ" (سورة لقمان، الآيتين ٢٩-٣٠)، (لوحة ١٨).

المحراب الثالث

"اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ" (سورة البقرة، الآية ٢٥٥)، (لوحة ١٩).

المحراب الرابع:

" اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا" (سورة النور، الآيتين ٣٥-٣٦)، (لوحة ٢٠).

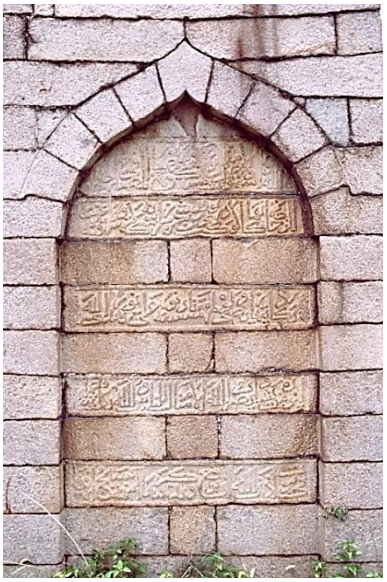

لوحة (٢٠) المحراب الرابع

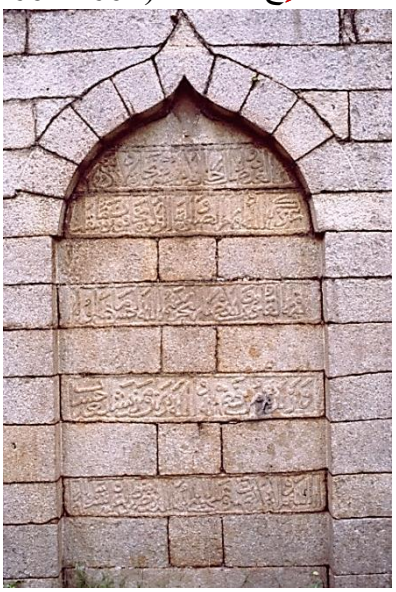

لوحة (٢١) المحراب الخامس

لوحة (٢٢) المحراب السادس

المحراب الخامس

"بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ

مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ" (سورة النور، الآيات ٣٦-٣٩)، (لوحة ٢١).

المحراب السادس:

"رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (سورة البقرة، الآية ٢٨٦) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (سورة آل عمران، الآيتين ١٩٣- ١٩٤)، (لوحة ٢٢)

مرسوم الإمبراطور يونغله ١٤٠٧م

يحتوي مسجد الأصحاب على مرسوم امبراطوري، أصدره يونغله (١٤٠٣- ١٤٢٤م)، امبراطور أسرة مينغ، وذلك عام ١٤٠٧م (لوحة ٢٣)، يقع المرسوم في منتصف الجدار الشمالي في ممر المدخل الرئيسي، وتم نقشه في السنة الخامسة من فترة حكم الإمبراطور يونغله، وهي السنة التي توافق عام ١٤٠٧م، أما الدافع الذي حدا بالإمبراطور إلى إصدار مثل هكذا مرسوم؛ فهو بعض مظاهر الاضطهاد التي تعرض لها مسلمي الصين خلال عهده من قبل عمال البلاط، بالإضافة إلى هذا النقش، هناك نسخ أصلية تحتوي على النص ذاته في أماكن أخرى، حيث تم اكتشاف مرسوم أخر في عام ١٩٥٦م، عند الشيخ لان شياويانغ، أحد أشهر الأئمة المسلمين في الصين خلال منتصف القرن العشرين الميلادي، وهو عبارة عن كتاب حريري يبلغ ارتفاعه ٧٢ سم وعرضه ١٠,٥ سم، تم استعارته من قصر الثقافة الوطني، وقام قصر الثقافة الوطني بنسخ نسخة من النسخة الأصلية وأعاد النسخة الأصلية إلى الإمام المذكور، غير أن النسخة الأصلية كانت منقوشة بثلاث لغات، فإلى جانب الصينية، نقش المرسوم بالفارسية والمنغولية، كما يحتوي كل من مسجد سوتشو ومسجد فوتشو على مرسوم حجري مماثل.

لوحة (٢٣) مسجد الأصحاب- مرسوم الإمبراطور يونغله عام ١٤٠٧م

المرسوم الإمبراطوري موجه لشخص مسلم يُدعى "مير حجي أو أمير الحاج أو أمير حاجي"، Mili Hazhi، (米里哈只)، أصدره يونغله، امبراطور أسرة مينغ الحاكمة، تم إصدار هذا المرسوم الإمبراطوري بعد أربعين عامًا على نهاية أسرة يوان المغولية وبداية أسرة مينغ، تشير كلمة "الحاج أو حاجي" إلى أن الشخص الموجه إليه المرسوم، كتكريمًا له وتبجيلاً لشخصه، قد أدى فريضة الحج إلى مكة ، بينما تشير كلمة "مير" إلى الشخص الذي اكتسب تاريخ عسكري مميز.

المرسوم عبارة عن لوحة حجرية مستطيلة، صممت بشكل أفقي، إذ يبلغ طولها ١٦٠ سم، بينما يبلغ ارتفاعها ١٠٠ سم، ويؤطرها شريط زخرفي قوامه الزخرفة برسوم التنين؛ تتضمن اللوحة ١٦ سطر صيني نقش بصورة رأسية تقليدية، نقش الختم الأيمن والأيسر بحرفين اثنين (谕敕) وترجمتها لغويًا "مرسوم"، **أما عن ترجمة النقش كما يلي:**

"مرسوم امبراطوري من بلاط أسرة مينغ العلية، إمبراطور مينغ العظيم يُرشد مير حاجي إلى أنه الصادق والصادق، سيبجل تيان [الله]، ويخدم الإمبراطور، كما أنه سيكون لديه قيادة على الناس الطيبين، ويقدم خدمة مخلصة للبلاط الإمبراطوري، لذلك يباركه الله وينعم بالنعيم الأبدي، أنت يا مير حجي، لقد اتبعت دائمًا تعاليم محمد، وأنت تقي وصادق وتدفع الناس إلى فعل الخير، أنت أيضًا تبجل الله وتخدم الإمبراطور بإخلاص، إن مثل هذه الأعمال الصالحة تستحق التكريم والثناء، اليوم أعطي لكم بموجب هذا مرسوم إمبراطوري، وذلك من أجل حراسة مسكنكم، لا يجوز للمسؤولين، المدنيين أو العسكريين، أو أي شخص، إهانتكم أو الحاق الأذى بكم، أي شخص يسيء إليكم أو يهينكم يكون ضد

أمري الإمبراطوري، وسيعاقب كمجرم"، صدر هذا المرسوم في الحادي عشر من الشهر الخامس من السنة الخامسة لفترة حكم الإمبراطور يونغله [توافق سنة ١٤٠٧]".

الخاتمة والنتائج

يعتبر النقش التأسيسي العربي للمسجد وثيقة لها عظيم الأهمية؛ فقد رصد بجلاء تام تاريخ العمارة الحالية للمسجد والتي تمت عام ٧١٠هـ/ ١٣١٠- ١٣١١م من ناحية، كما نفهم من نص النقش أن العمارة الأولى للمسجد قد تمت عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩- ١٠١٠م من ناحية أخرى، وهذا النقش من النوادر في العمارة الإسلامية الصينية، فنمط الخط المستخدم وهو خط الثلث لم يكن شائعًا في العمارة الإسلامية في الصين، وبالرغم من ظهور أنماط عديدة من الخط العربي على استحياء كخط النسخ والثلث والكوفي المربع في فنون عمارة المسلمين الصينيين، إلا أنه ومع ذلك تم الإعتماد بصورة رئيسة على خط الثلث الصيني.

كما خلصت الدراسة إلى أن الإمكانات المادية للمساجد الصينية كانت ضعيفة، حيث لم تكن الدولة أحد رعاتها مثلما الحال في العالم الإسلامي، حيث كانت تقام المساجد برعاية الدولة أو الطبقة الحاكمة؛ لذا تعددت مصادر تمويلها مثل الوقف على المساجد، والتبرعات الفردية والمشاركة الإجتماعية... وغيرها، وكان لمصادر التمويل المختلفة للمساجد الصينية عظيم الأثر في استمرارية أداء مهامها ووظائفها عبر العصور المختلفة بما تلبى مطالب المجتمع الإسلامي وتحقق أهدافه، لذلك حرص المسلمون الصينيون منذ عصر أسرة مينغ على تعدد مصادر تمويل المساجد؛ وخاصة بعد اندماجهم في المجتمعات الصينية وشعورهم بأنهم صينيون، كذلك كان لانقطاع اتصالهم عن العالم الإسلامي واعتمادهم على اللغة الصينية أبلغ الأثر في البحث عن مصادر مالية من شأنها الإرتقاء بمنظومة التعليم الديني داخل المساجد بما يتماشى مع التعاليم الدينية الإسلامية من ناحية ومع الثقافة والموروث المحلي من ناحية أخرى.

ومهما يكن من أمر، فقد تولى أحمد بن محمد القدسي الشيرازي، تمويل مشروع عمارة المسجد عام ٧١٠هـ/ ١٣١٠-١٣١١م، ويبدو فيما يبدو أن أصوله ترجع إلى شيراز في بلاد فارس، ويبدو أنه كان من كبار تجار المدينة وأحد أبرز وجهاءها، وهو الأمر الذي يعزز من حضور المسلمين في مدينة تشوانتشو، وهجرتهم إلى الصين، خاصة بعد اجتياح المغول لغرب أسيا، كما تبرز قدراتهم الاقتصادية العظيمة التي مكنتهم من بناء مثل هكذا عمارة حجرية ذات تقنيات معمارية وهندسية متطورة في بلاد اعتمدت عمارتها بصورة رئيسة على العمارة الخشبية والآجر كمادة بناء أساسية دون غيرها.

أبرزت الدراسة مدى تأثر العمارة الإسلامية في الصين بعمارة العالم الإسلامي المجاور في أسيا الوسطى وبلاد فارس، ومرد ذلك أن المجتمع المسلم في المدينة كان غالبيته من مسلمي وسط وغرب أسيا، وهو ما ساهم في ظهور سمات معمارية جديدة في الصين، وتخطيط المسجد يختلف عن التخطيط الصيني التقليدي الذي يعتمد على الأفنية بصورة رئيسية، كما ظهرت مفردات معمارية اسلامية خالصة مثل العقد المدبب وشرفات الواجهات وخط الثلث، والكتابات القرآنية التي تزين الواجهات، كل هذا يدل على مدى حضور المعماريين المسلمين من وسط أسيا في مدينة تشوانتشو خلال عصر المغول.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- **القرآن الكريم.**
- **ابن بطوطة(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ت ٧٧٩هـ):** رحلة ابن بطوطة، دار صادر ببيروت، ١٩٩٢م.
- **الطبري(أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ):** تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، الجزء الرابع، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر (د ت).

ثانياً: المراجع العربية

- **محمود يوسف لي هواين:** المساجد في الصين، الطبعة الأولى، بكين: دار النشر باللغات الأجنبية، ١٩٨٩م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- **Wahby, Ahmed,** Islamic Architecture in China, Mosques of Eastern China, Master's Degree, Cairo, The American University in Cairo, School of Humanities and Social Sciences, 2000.
- **Schottenhammer, Angela (ed),** The Emporium of the World: Maritime Quanzhou, 1000-1400, BRILL, 2001.
- **Benite, Aziz Ben-Dor,** "Even unto China, Displacement and Chinese Muslims Myths of Origin", Bulletin of The Royal Institute for Inter: Faith Studies 4, 2002.

- **Dasheng, Chen;** Weiji, Zhuang, "quánzhōu qīngzhēnsì shǐjī xīn kǎo", in Quánzhōu yīsīlán jiào yánjiū lùnwén xuǎn, Fújiàn shěng quánzhōu hǎiwài jiāotōng shǐ bówùguǎn quánzhōu shì quánzhōu lìshǐ yánjiū huì biān, Fujian Renmin Press, Fuzhou,1983.
- **Dasheng, Chen,** Quánzhōu yīsīlán shíkè, Ningxia Renmin Press, 1984.
- **Guang'en, Chen;** Chenghua, Huang, "Jīndài yīsīlán jiào chūtàn" (Preliminary Study on Islam during the Jin Dynasty), Běifāng mínzú dàxué xuébào, "Zhéxué shèhuì kēxué bǎn" (Northern University for Nationalities "Philosophy and Social Science Journal), 2011.
- **Ning, Chenyu;** Xiaofang, Tang, Zhōngguó huízú wénwù (Heritage of Chinese Hui Minority, Ningxia People's Press, 2007.
- **Leslie, Donald,** Islam in Traditional China, A Short History to 1800, Canberra, Canberra College of Advanced Education, 1986.
- **Hagras, Hamada,** "The Ming Court as patron of the Chinese Islamic Architecture: The case study of the Daxuexi Mosque in Xi'an", Shedet, 2019.
- **Hagras, Hamada,** "An Ancient Mosque in Ningbo, China: Historical and Architectural Study", Journal of Islamic Architecture, 2017.
- **Hagras, Hamada,** Xi'an Daxuexi Alley Mosque: historical and architectural study, Ejars, (2019).
- **Hou Hanshu,** (Book of later Han Dynasty), Zhonghua Press, 1999.
- **Gernet, Jacques,** A History of Chinese Civilization, Cambridge, Cambridge University Press, 2005.
- **Jiu Tangshu,** (Old Book of Tang, Volume 1:10), Zhonghua Press, 1975.
- **Yu, Lei,** " Zhōnggǔ shíqí yīlǎng yǔ zhōngguó de sī lù shāngmào" (Iran and China's of Silk Road trade in Middle Ages), Zhōngguó xuéshù qíkān, 2011.
- **Ping, Liuzhi,** Zhōngguó yīsīlán jiào jiànzhú (Chinese Islamic Architecture), Beijing: Xinlian House Publishing, 2008.
- **Ting, Lubian,** "Lüè lùn sòngdài yīsīlán jiào jiànzhú" (On Islamic Architecture during Song Dynasty), Mínzú lìshǐ xué yánjiū (Journal of Ethnic History Studies), 2011.
- **Broomhall,** Marshall, Islam in China, a Neglected problem, London, 1910.
- **Leaning, Melanie;** Pratt, Douglas, "Islam in China, From Silk Road to Separatism", The Muslim World, 2012.
- **Dillon, Michael,** Muslim Hui Community, Migration, Settlement, and Sects, Curzon Press, 1999.

- **Steinhardt, Nancy,** "China's Earliest Mosques", Journal of The Society of Architectural Historians, 2008.
- **Chen, Qing,** Mosques of the Maritime Muslim Community of China: a study of mosques in the south and southeast coastal regions of China, PhD thesis, SOAS University of London.
- **Garofalo, Vincenza,** "The Geometry of a Domed Architecture: A Stately Example of Kārbandi at Bagh-e Dolat Abad in Yazd", Nexus Network Journal, 2016.
- **Xiaofu, Wang,** Shǐ zhèngdà tǔ táng zhì shí fān guānxì (History of Relations between Tang and Arabs), Beijing University Press, 1992.
- **Zheng, Wangtie,** "Lìshǐ shàng de zhōng ā wénmíng jiāowǎng" (Cultural Exchange between China and the Arab States in History), Xīběi dàxué xuébào (Journal of Northwest University), 2004, Vol. 34, No. 3, pp. 115-119.
- **Xin Tangshu,** (New Book of Tang History- Volume 38- 350), Beijing: Zhonghua Press, 1975.
- **Armajani,** Yahya, Iran, New Jersey, 1972.
- **Zhu, Ying,** Evidence of Existing Knowledge of China and its influence on European Art and Architecture in The sixteen and seventeen centuries, PhD Thesis, Georgia, Georgia Institute of Technology, 2009.
- **Marshallsay, Zaniah,** "Between The State and Islam, Hui Muslim Women's Religious Participation in Public Space in China", The APSA Conference, Melbourne, 2010.
- **Mei, Zhangyong,** "Ālābó-yīsīlán zhuāngshì yìshù fēnggé yǔ zhōngguó wài shāo cí" (Arabic-Islamic Decorative Styles of Chinese Porcelain), Wenbo Journal, 2003.